عادت السفينة الغارقة تطفو ثانية ، ولكن على وجه التاريخ . لتعود أخبارها تتأرجح بين الأسطورة والواقع . كانت تسمى « ملكة المحيطات » ، وكانت أكبر وأروع وأغلى ما صنع على مدى السنين من سفن .

تيتانيك والكبرياء الغارقة !

أسيمة حسن چانو

ركاب السفينة فى حالة الرعب كما رسمها أحد الفنانين .

كان طولها ٨٨٢ مترا ، وعرضها ٩٢ قدما ، ووزنها ٤٥ ألف طن تقريبا ، لكنها بالرغم من ذلك . . غاصت إلى القاع . . وغرقت بكل نعومة وسهولة . . دون ضجة ، فى ليلة تلألأت فيها النجوم وغاب القمر .

حدث هذا فى الساعة الثانية والثلث من فجر يوم الاثنين ١٥ ابريل من عام ١٩١٢ فى كاب ريس فى الجنوب الشرق من نيوفوندلاند فى شمال الأطلنطى .

قد يكون الحادث قد غرق فى النسيان أيضا ، لكن الملكة المدعوة تيتانيك ابتلعت معها فى غرقها ١٥١٧ نفسا من الركاب ، وبذلك كانت أكبر غولة على مدى التاريخ ، بحرا وبرا وجوا .

تيتانيك ؟

هل كان اسمها نبوءة ؟

تيتانيك مشتق اسمها من « التيتان » ، والأسطورة الاغريقية تقول إن « التيتان » كانوا ١٢ عملاقا من الأولاد والبنات ، ولدوا فى السماء عاف أبوهم أورانوس قوتهم العظيمة لذلك قيدهم فى العالم السفلى ، فما كان من الأم إلا أن أطلقت سراح أصغرهم ساتورن « زحل » الذى قتل والده وحرر اخوته واخواته ليتزاوجوا تحت سيطرته وسيطرة زوجته ربا « أخته » . ولكن زحل عزل هو الآخر من قبل جوبيتر الله

غلاف المجلة الألمانية الصادرة بعد الكارثة عام ١٩١٢ وقبطان الباخرة العارفة ادوارد سميث.

قبطان الباخرة العارفة

الآلهة أو «زيوس» .. فاشترك كل التيتان في حرب والدهم ضد جوبيتر وجميع آلهة جبل أوليمب.

وغضبت عليهم الآلهة لتردهم جميعا وغرورهم وتحديهم .. فرقيهم شر ممزق وهبطوا إلى الأرض عقابا لهم. أما أطلس، أحد أبناء التيتاني جابيتوس، فقد حكم عليه أن يحمل الكرة الأرضية على كتفيه إلى الأبد.

فهل كان اسم تيتانيك نبوءة؟

ألم تكن السفينة تيتانيك رمزا عملاقا للكبرياء الإنسان وغروره؟

كانت تيتانيك وستظل رمزا لأية قوة تنسى أن الأقدار محدقة بها.. وأنها بالغة ما بلغت.. فأقدارها أقوى من أية تكنولوجيا.. وأية مدنية.. وأن الإنسان لابد أنه في فترة ما يعرف أنه يجري.. نحاه تدمير نفسه.. وبسرعة مذهلة.. وتنسى الشعوب هذا.. فيدفعها الغرور إلى تحدي الأقدار.. تماما كالتيتان.

لكن العالم لم يترك مصير تيتانيك، ليعتبره قضاء وقدرا، أو ليكون فقط رمزا لقوة قاهرة عليا على الإنسان وكبريائه.. بل اتجه منذ ذلك اليوم وحتى الآن إلى البحث عن أسباب غرق السفينة.

وشدت هذه الكارثة اهتمام الكثير جدا من الكتاب والفنانين. ففي فرانكفورت في ألمانيا الغربية ظهرت مجلة فكاهية باسم «تيتانيك».. وفي برلين عرضت أوبرا باسم تيتانيك في العام الماضي ١٩٧٩. كما أنتجت الولايات المتحدة الأمريكية فيلما أمريكيا عام ١٩٥٨ باسم «ليلة تيتانيك الأخيرة». أما ألمانيا فقد انتجت فيلما باسم تيتانيك عام ١٩٤٣ أما الشاعر والفنان الألماني «هانز ماجنوس ايتزن برجر» فقد ألف لها مغناة على نمط شعري باسم تيتانيك منذ عامين واعتبر السفينة رمزا واسقاطا للمجتمع الرأسمالي الطبقي.

وقد ظهرت دعوة في نيويورك إلى محاولة انتشال تيتانيك، أقصد حطام تيتانيك، من عمق ٣٦٠٠ متر.

الدعوة ظهرت على شكل فيلم لكليف كاسلر، وهو يتعرض لوقائع حرب كيميائية خيالية بين الأحلاف أمريكان وبين السوفييت. متطلقا عن رغبة خيالية في وجود كنز على سطح السفينة، هذا الكنز سماه المؤلف «بزنطة».

ولا شك أن حلم بزنطة راود الكثيرين بعد غرق السفينة مباشرة وفكر الكثيرون لهذا السبب في انتشالها.. ومنهم عائلة «جوجنهايم» الذي غرق أحد أفرادها المليونيرات على أمل أن يجدوا

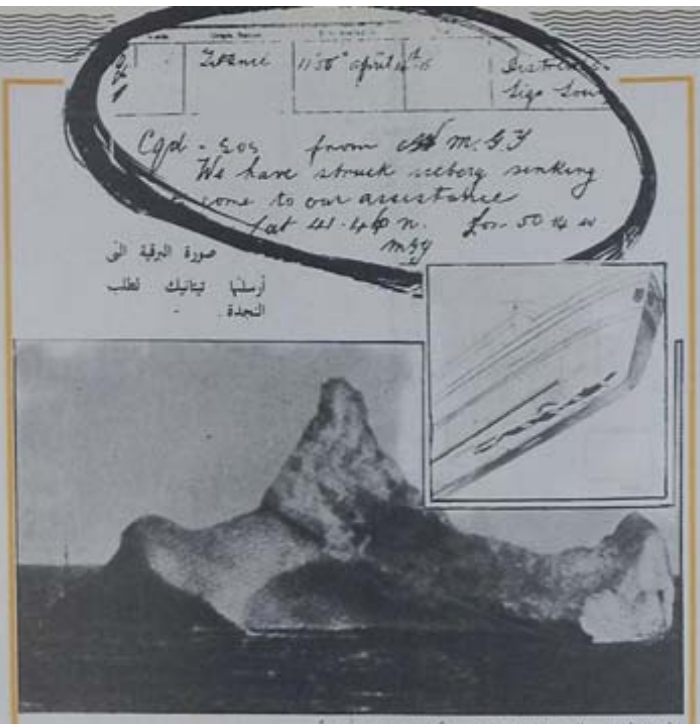

صورة البرقية التي أرسلها تيتانيك تطلب النجدة.

الجبل الجليدي الذي شرخ الباخرة من أسفلها بطول ٩٠ مترا.

جثة المليونير الغريق.. وربما أيضا بالتالي بعض كنوزه التي كانت معه..

كما أبدت بريطانيا رغبتها في السنين الأخيرة في محاولة انتشال حطام تيتانيك واقترحت اليابان انتشال هيكل السفينة عن طريق تعويم كرات البنج - بونج.. وفي هذا الصيف من عام ١٩٨٠ حيث يعرض الفيلم الأمريكي: «انتشلوا تيتانيك».. وحيث تحولت تيتانيك إلى أسطورة قدرية.. اغريقية الروح، شاعت في الرأي العام روح تعاطف مع المشاريع التي بدأت فعلا لانتشال الحطام على بعد ٥٦٠ كيلو مترا جنوب شرق نيوفوندلاند.

وفي يوم ٢٢ يوليو من هذا العام يفترض أن تكون قد قامت لجنة أمريكية مكونة من خبراء المحيطات لتقوم بتمشيط مساحة ١٥ ميلا مربعا لتبحث عن حطام السفينة التي غرقت منذ ٦٨ عاما، بالمركب الأمريكية العلمية المساة «فاي».. ويشترك في الحملة علماء من أفضل معهدين لدراسات المحيطات وتستعمل أحدث الأجهزة التي صنعت خصيصا لهذا الغرض. يقول المشروع واحد من ملوك البترول في تكساس هو جاك جرم ويبلغ ٥٤ عاما من عمره.. وقد تحمس للمشروع حين قرأ منذ أربعة أعوام تفاصيل مثيرة عن تيتانيك.

ويتوقع الخبراء أن تظهر الكنوز المدفونة في الباخرة الغريقة تيتانيك بأكثر من ٢٥٠ مليون دولار.

ولو نجحت البعثة الأولى فسترسل بعثة ثانية العام أيضا، مجملة بأجهزة بحث في عمق أعماق المحيط. والبالغ سيكون من شأن البعثة الثالثة في العام القادم تحريك البحوث العلمية «الوميوت» ويستطيع هذا المركب وحده حمل ستة أو أربعة رجال، وأن يغطس إلى عمق ٤٥٠٠ متر، كما أنه مجهز بكشافات وإنسان آلي وكاميرات.

فما هي قصة غرق السفينة «تيتانيك»؟.

على كثرة ما قيل وما كتب فإن الحقيقة يجب أن تظهر لتبتلع كل الخرافات والأساطير التي احاطت بالكارثة.

في عام ١٩٥٦ ألف أحد الكتاب الانجليز كتابا عن «تيتانيك» وكاليفورنيان» وهو يتر بادفليد يفند فيه الأساطير التي أحاطت بالكارثة.

وكاليفورنيان هي باخرة بريطانية استطاع مرافقوها أن يروا تيتانيك في تلك الليلة المشؤومة من أبريل.. وحين أرسلت تيتانيك إشارات الاستغاثة لم يتمكن أحد من توصيلها إلى الكابتن ستانلي لورد الذي كان مرهقا جدا في تلك الليلة.

ولكن يتر بادفليد يرى أن إلقاء التهمة والذنب كله على كابتن ستانلي لورد ما هو إلا تمويه لكثير من الأخطاء الفادحة والخسيسة تلك التي حدثت على السفينة تيتانيك نفسها. وآخر ما نشر منذ شهور فقط كتاب رائع للشاعر الأمريكي «وابن كريج وبد» في لندن تحت اسم: «تيتانيك.. نهاية حلم».

والكتاب ملأ حقه عنيفة واعية سريعة لآثار الكارثة الأسطورية.. وأسلوب الكتاب يجمع بين الحقيقة والشعر.

وسواء الكاتب الانجليزي بادفلير أو الأمريكي وابن كريج وبد فإنهما اعتمدا على كثير من الوثائق الصحيحة والمستندات التي نشرت مباشرة بعد الكارثة.

ومن هذه الوثائق البروتوكول الذي كتب عن الأحوال البحرية البريطانية ابتداء من مايو ١٩١٢. ثم تقارير لجنة الاستقصاء الأمريكية التي حققت مع القبطانين اللذين بقيا على قيد الحياة وحوالي ٢٤ من طاقم وركاب السفينة المعلاقة. وكان يرأس اللجنة ويليام أدان سميث.

فهل من الخطأ اعتبار «تيتانيك» (برج بابل الذي بناه أبناء نوح - كما جاء في الكتاب المقدس - ليصلوا به إلى السماء ويتحدوا الطوفان.. لكن الرب انتقم منهم.. وهوى البرج ومن فيه.. فكان مثالا رائعا على عقاب الله لغرور الإنسان وكفره؟

«انتسن بيرجر» الشاعر يقول، إن الله يعاقب الجبابرة.. وهو حين يقول هذا، يجد فيه أسلوبا للعدالة الأخلاقية.. فالله يعاقب الجبابرة لغرورها وجشعها.. وكان الغيظ كظما ماليا دفن الغرور والتكبر.

فماذا كان فعلا على السفينة؟

هل كما تقول بعض الوثائق.. هناك مجموعة من الحمق يقودون السفينة.. طاقم مغرور ضال.. وقبطان عجوز بطيء؟ وما هي وجوه الإهمال التي أدت إلى ما أدت إليه في تلك الليلة المصيرية؟ ألم يكن فعلا في طاقم السفينة إلا هذا الضابط الكابتن المدعو «روستون» من السفينة «كاربالا» الذي التقط اشارات النجدة من بعد ٥٨ ميلا بحريا وهرع بقوارب النجاة ليفقد بعض الذين كانوا لا يزالون على قيد الحياة مع اطلالة الفجر.

في كل ماكتب.. وفي كل الأفلام التي انتجت عن السفينة، تتضح حقيقة غريبة.. فعلى المركب كان هناك حمام سباحة يساوي في مساحته مساحة سفينتين عاديتين.. ولكن لم يكن على السفينة الرائعة كلها نظارات مكبرة للبحارة الذين يتولون الحراسة والمراقبة.

اسطورة التيتانيك لابد أن تصطدم بأسطورة الجبال الجليدية التي أغرقتها.. لابد أن هذه الجبال أدت تماما إشارات الإنذار اللامرئية بوضوح.. ولكن ماذا نتصور رد فعل القباطنة على السطح؟

هناك الضابط الملكف بإشارات إنذار الجبال الجليدية وهو بوكسهول الذي كان يبلغ من العمر ٢٨ عاما فقط.. الإشارات توالت والتقطها.. ولكن لماذا لم يكن رد الفعل بنفس أهمية هذه الإنذارات؟؟

ولماذا لم يتحرك أحد بمقدار خطورتها؟

ولكن ما حدث في تلك الليلة ٢٤ ابريل بدا كما لو أن القضاء كان يعالي في المأساة بمقدار ماكان الضباط يجهلون هذه التحذيرات..

في تلك الليلة تلقى كابتن ادوار سميث، قبطان تيتانيك، إشارة من مراسله اللاسلكي فيليب بعد الساعة التاسعة من صبيحة يوم الأحد، يوم الحادث صباحا. وقد أنبأت الإشارة من قبطان

تيتانيك والكهرباء الغارقة

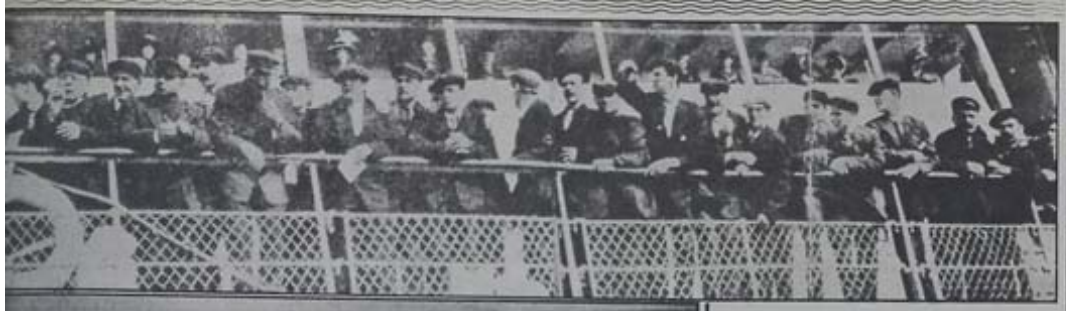

▲ الركاب الذين نجوا من الموت أثناء وصولهم إلى بلايموث

□ □

◀ مجلة «شفير» الانجليزية التى نشرت تفاصيل الكارثة

مشهد من أوبرا تيتانيك التى عرضت عام ١٩٧٩

سفينة «كاروبيا». وكانت الإشارة تقول إن الجبال الجليدية تبعد ٢٠٠ ميل بحرى فقط عنهم. لكنها قريبة جدا من تيتانيك وما كان ادوارد سميث الا أن قرأ هذه الإشارة لواحد فقط من رجاله. وهو الضابط الثانى «لايتولر» وقد صرح الأخير بعد ذلك أنه قرأ الإشارة جيدا وأدركها.. ثم أعادها إلى القبطان سميث.. وكانت الإشارة تقول..

«إلى الكابتن سميث - تيتانيك - السفينة اليونانية «اليناى» تبنى» بوجود جبال جليدية وكميات كبيرة من الحقول الجليدية اليوم بدرجة ٤١ و ٥١ فى الشمال و ٤٩ و ٥٢ فى الغرب - نتمنى لكم وتيتانيك كل النجاح.

هذا كان نص البرقية اللاسلكية التى تسلمها سميث أيضا من «بالطيق» السفينة فى الساعة الثامنة الا ثلثا.. قرأها أيضا وناولها إلى رئيس يسمى به «وايت ستار لاين»، الذى قرأها بسرعة ثم طواها ووضعها فى جيب جاكتته.. رغم أن الخبريقول إن جبل الجليد أصبح تماما فى طريق تيتانيك.

لم تكن المسألة تتعلق بجبل أو بجبال جليدية انما بحقول واسعة من الجليد.. سميث لم يهمل الأمر تماما بل إنه حول الاتجاه فى الساعة الخامسة بعد الظهر من الجنوب الغرب إلى الاتجاه الغرب لمدة خمس دقيقة.. وظن بهذا أنه قد تفادى القدر.

بعد الساعة الرابعة من ظهر يوم الأحد أيضا - وصلت إشارة باللاسلكى من السفينة الألمانية أمريكا التى رأت جبال الجليد.. تماما فى الجنوب على طريق تيتانيك..

كانت الجبال هذه المرة لا تبعد أكثر من ٢٢ كيلو مترا من السفينة. وصلت إليها بعد سبع ساعات فقط!

فجأة بعد خمس ساعات تذكر سميث الورقة التى طواها الرئيس (اسماى) فى جيبه وقابله بعد عشر دقائق وطلب منه إشارة الإنذار كى يعلقها فى غرفة الضباط - ولكن هذا أيضا لم يحدث.. بل حدث ما هو أسوأ..

فى السابعة والنصف مساء أبرقت السفينة «كاليفورنيان» إلى تيتانيك بأن هناك ثلاثة جبال جليدية جنوب المنطقة بدرجة ٤١ شمالا و ٤٩ غربا كما أبرقت السفينة ميسابا «إلى تيتانيك بأن هناك حقولا جليدية بعمق ٩٠ ميلا بحريا وعرض ٣٥ ميلا بحريا واعدادا كبيرة من الجبال الجليدية الكبيرة.. ترقد على طريق «تيتانيك» تماما.

والمدهش أنه بالرغم من ان اشارات التحذير المتكررة التى التقطتها أجهزة اللاسلكى فى تيتانيك فإن الأمر لم يبلغ لأحد من ضباط المراقبة. كما أنه يبدو - كما يقال - ان كابتن سميث نفسه لم يكن فى وضع يدرك معه خطورة مثل هذه الإشارات.

وقد ظهر هذا فيما بعد أثناء استجواب لجنة الاستقصاء الأمريكية للمراسل اللاسلكى الذى بقى على قيد الحياة وهو «هارولد برايد» الذى صرح بأنه لم يتلق رسالة السفينة «أمريكا» وأنه كان نائما إلى أن أيقظه فيليب بعد الحادثة.

ولكن فى الحقيقة أن جاك فيليب - كما يؤكد مراسل لاسلكى كاليفورنيان «ايفانز» كان مشغولا بشكل فظيع بتلغرافات الركاب والنهاى. بحيث لم يعد لديه الصبر ولا الوقت لسماع أخبار السفن الأخرى.

وحتى يتم الله مشيئته.. أبرق ايفانز ثانية بناء على طلب قبطانه لورد إلى زميله فيليب على تيتانيك وذلك قبل ساعة واحدة من وقوع الكارثة. وكان يقول:

«أيها العجوز - نحن محاطون بالجليد - توقفنا -

الموقف ٤٢٥ درجة شمالا و ٥٠٧ درجة غربا - وكان رد فيليب غريبا جدا ومدهشا حيث أجاب:

إبق خارج الخط - إبق خارج الخط - أنا مشغول جدا - إنى أعمل مع كاب ريس - أنت تقاطعنى وتعطلنى - لا تدخل فى الخط».

هكذا - قدرت المصيبة.. ونام إيفانز حين لم يجد الرد.. ولم يسمع أثناء نومه نداءات الإنقاذ التى كانت ترسلها بعد ذلك.. تيتانيك.

وحدث ما يحدث فقط مرة كل مائة عام أو مائتين.. حين تردت ملكة الغيط بسرعة ٢٢ عقدة الساعة فى أعظم كارثة تحدث فى الغيط.. اندفعت فى الليل المظلم الذى كان قمره غائبا.. ولمعت النجوم فوق سطح الماء.. ثم ظهر كابتن سميث وتحدث مع الضابط الثانى لايتولر، الذى بقى حيا، وشكا إليه أن الجو ابتدأ يبرد بشدة حيث هبطت درجات الحرارة إلى ٢ تحت الصفر وأن الريح سكنت تماما.

لو أن كابتن سميث والضابط لايتولر أعملا رأسيهما لعرفا أن البرودة المفاجئة وسكون الرياح بالإضافة إلى اشارات الإنذار المتوالية والبرقيات اللاسلكية المتصلة. كل هذا يعنى شيئا واحدا. وهو أنهما دخلا فى المنطقة الجليدية. وأن البرودة نشع من الجبال الجليدية التى تحول بدورها دون هبوب الرياح.

والمعروف أن الجبال الجليدية ليست بيضاء أبدا.. بل يكون لونها والجليد بنفث بهدير عنيف على سطحها. أقرب إلى الرمادى والأخضر. ولذلك فقد كانت زعاوى الأمواج الفوسفورية التى تتكسر على جبل الجليد هى أول وأهم وأضمن علامة مميزة فى الظلام لمعرفة مكان الجبال - الجليدية. ويمكن رؤيتها عن بعد ولو بالعين المجردة.

فكيف غاب كل هذا عن ادراك الكابتن. «علاوة على أحساسه المفاجىء بالصقيع؟

ويتذكر لايتولر بعد ذلك أنه قال للكابتن سميث. أنه كان يتمنى لو أن الريح ظلت تهب حتى يمكنهم الخروج من منطقة الجليد.

وقال سميث: لكن الهواء هادىء والرؤية واضحة.. وأجاب لايتولر: على كل حال. فإن أى جبل جليدى يجب أن يعكس ضوءا ما.

هل كان جهلا أو لا مبالاة.. أو أنه القدر قبل كل شىء؟..

دخل ادوار سميث إلى مقصورته.. ولم يغادرها.. ويعجب لا يتولر لنفسه بشدة. أنه لم يخطر على باله أبدا أن ينبه سميث إلى وجوب تخفيف السرعة.

وفى الساعة العاشرة مساء ترك لايتولر مكانه للضابط الأول المكلف بالمراقبة وهو ويليام موردوخ. وتبادل الاثنان الحديث.. عن البرودة المفاجئة!!

وقد سألت لجنة الاستقصاء الأمريكية موظف المراقبة. فريدريك فليت. عما إذا كان «الشىء الأسود» الذى رآه مع زميله. كان يمكن استكشافه بالمنظار قبل ذلك بوقت طويل. أجاب: بأنه كان من الممكن جدا رؤيته قبل النهاية بوقت كاف لتجنب الكارثة.. فى الساعة الحادية عشرة والنصف ليلا رأى فليت «الكتلة السوداء».. كقلال ضوئية آتية من النجوم وملقاة على الأفق.. ولم يستطع للأسف تقدير البعد تماما!.. واتصل ثلاث مرات بالكابتن سميث ليلفهم الإشارة الخطيرة. بأن هناك «شيئا عائقا» يقف أمام السفينة مباشرة.. ثلاث مرات إلى أن رد عليه الضابط السادس موذى. ويقول فليت أمام لجنة الاستقصاء الأمريكية:

لقد سألنى - عما أرى!

قلت له: أرى أمامى مباشرة جبلا جليديا. يا سيدى. وأجاب شكرا!

مشهد كابينة اللاسلكى بعد ٣٥ دقيقة من الارتطام بالجليد .

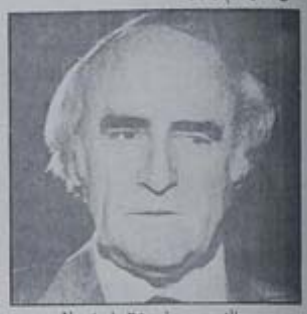

جاك جريم وحلم ٢٥٠ مليون دولار من الخطام فى القيط .

مشهد من الفيلم الأمريكى « ليلة تيتانيك الأخيرة » .

رسم للباخرة تيتانيك لمقارنة ضخامتها بأضخم الأبنية فى العالم

وذهب شكر مودى مثلا يقال . فى الأسطورة ليدلل على مدى البرود الانجليزى الشهير ولكن هذا البرود ماكان إلا على مودى . فان وليام مورداح الذى وصلته الإشارة هرع إلى مكان الإنقاذ وفعل ما يستطيع .

لم يكن الجبل الجليدى عملاقا – بل إنه ماكان بأعلى من المستوى الذى تربط عنده مراكب الإنقاذ فى السفينة . لم يكن يعلو بأكثر من ١٨ م فوق الماء . ولكن تيتانيك التى كانت تسير بلا مبالاة تامة . بلا توقف بنفس السرعة . اصطدمت تحت الماء . بالكتلة الجليدية المرعبة . ولذلك لم يعجب البحار المعاصر والكاتب جوزيف كونراد . من أن السفينة قد شرخت شرخا طوليا . كما لو كانت علبة محفوظة . الشرخ كان بطول ٩٠ مترا على الأقل . وماكان هذا ليحدث . لو أن واحدا من القباطنة كان يعرف قليلا فقط أكثر مما يعرف عن فنون البحر والابحار – كما يقول جوزيف كونراد .

وليست نكتة أن يقول كونراد إنه كان بإمكان « مورداح » قائد الكارثة . حين أحس بالبرودة وصفاء الهواء حوله . وذلك بأن يدخل بكتف السفينة على الجبل الجليدى . بعد أن أصبح متعذرا الوقوف أو الدوران حول الجبل كان عليه أن يدخل بكتف السفينة . أى أن يهجم على الجبل الجليدى مباشرة –

فن البحر والابحار لاشك . ولا نفهمه نحن . بل إن من يسمع هذا يتخيل أننا نلق نكتة لكن علماء الإبحار يعرفون هذا جيدا . بل يضيفون : أن مثل هذا الاندفاع بكتف السفينة لن يؤثر عليها بأكثر من صدمة عنيفة .

لقد كان هناك نقص فظيع فى مراكب الإنقاذ . لمثل هذه السفينة العملاقة . وهذا حديث آخر فالمؤكد أن مورداح لم يكن عنده النية أو الأعصاب . كى يجرح أو يخدش الكبرياء البريطانى بواسطة كتلة من الظلال السوداء الجليدية ! .

كل ما فعله أنه أمر بوقف المحركات بكل قوة . ولكن هذا الأمر لم يعد فعالا فى ذلك الوقت إذ أن المحركات استغرقت ثلاث دقائق كاملة إلى أن أصبح التوقف ممكنا . ومعاودة الإبحار ممكنة .

حاول الضابط الأول نقادى الكارثة . وكان هذا يتطلب منه أعصابا قوية . ربما لم يكن يملكها . وكان ينصرف كواحد من أبطال فيلم تيتانيك فى هوليود ! .

وحاول أن يطلق النار على نفسه . حين أحس بعمق فشله بعد خبرة السنين الطويلة فى البحر .

بيبا تساءل بوكسهول : هل الأمر بهذه الجدية ؟

ويجيب سيث وقتها . بأن أندروز أخبره أن التيتانيك أمامها فرصة . ساعة أو ساعة ونصف ! ! كان مجرد وهم . أو أمل ! .

ولم تتوقف حلقات سلسلة الإهمال عند هذا الحد . بل تتابعت . بعد حتى الارتطام الرهيب حتى أن رئيس لجنة الاستقصاء الأمريكية . توصل إلى نتيجة مذهلة . وهى أن قيادة سفينة تيتانيك بدت بعد الحادث كأنها شلت تماما شلت » .

ربما إذ أنه من المؤكد أن قوارب الانقاذ لو أنزلت فى موعد سابق . لكان فى الامكان إنقاذ كل ركاب السفينة نظريا . ولكن الحقيقة تقول أن الركاب الذين كان يبلغ عددهم ٢٢٠٧ كاب . لم يكن أمامهم أكثر من ١٦ مركب نقاذ . لا يمكن أن تتسع جميعها لأكثر من ١١٧٨ راكبا . لو أنها امتلأت تماما .

وهذا أيضا لم يحدث !

صحيح أن القانون يصرح بأن يكون الحد الأدنى لعدد قوارب الإنقاذ فى سفينة تزيد حمولتها على ١٥ ألف طن . هو ١٦ مركب انقاذ . كما أكد رئيس (وايت ستار لاين) ولكن الأمر ليس بهذه الصورة .

وقد سأل رئيس النيابة فى المحاكمة التى جرت بشأن تيتانيك . عما إذا كان القانون لم يحدد مقدار تجاوز وزن السفينة نسبة إلى عدد مراكب الإنقاذ . أجاب الحامى بالنى .

وسأل رئيس النيابة . وكم كان وزن تيتانيك ؟

أجاب الحامى . ٤٦٣٢٨ طنا أى بزيادة قدرها ٣١٣٢٨ طنا عن السفينة المحدد لها عدد ١٦ قاربا . هذا التحمد الخافظ الملتزم جدا لدى التفكير البريطانى هو الذى أدى بلا شك إلى الكارثة .

ولم يكن هذا وحده هو السبب . بل إن هناك أمرا آخر يعتبر تجاوزا للقوانين وهو كابتن سيث نفسه

فقد مضى عليه أكثر من ٣٨ سنة قبطانا وكانت هذه الرحلة هى آخر رحلاته . حتى بدون الكارثة . وكان يجب أن تسرى عليه القوانين البونانية التى تقول . بابعاد أى قبطان لايثبت كفاءته حيال الظواهر الجوية الصعبة . فالقبطان سيث بدأ حياته مع سفن أقل تكنولوجيا . ولم يكن مدربا على سفن ضخمة مثل تيتانيك .

جاء فى التقارير النهائية أنه نجا ٦٣ ٪ من ركاب الدرجة الأولى و ٤٢ ٪ من الدرجة الثانية و ٢٥ ٪ من الدرجة الثالثة . ولكن هذا ليس مؤكدا . بل المؤكد مثلا أن الركاب المتجولين على سطح السفينة البالغ عددهم ٧٠٦ ركاب . عاش منهم ١٧٨ فقط . والسبب يعود – كما قيل إلى منع هؤلاء الركاب بالقوة من الخروج من سطح السفينة – للوصول إلى مراكب الإنقاذ .

هذه هى حقيقة بشعة لو حدثت .

ولكن الأبشع منها أن نتأكد أن هؤلاء الركاب لم يمنعوا من الوصول إلى المراكب بالقوة . إنما . لم يبلغهم أحد أن السفينة تغرق ! . فالضباط تركوا هؤلاء . وركاب الدرجة الثالثة . للمصير .

فحين وصلت المياه إلى سطح السفينة . كانت كل القوارب قد أنزلت إلى الماء . فاذا حدث فعلا ؟ قوارب الإنقاذ كان يمكن أن تستوعب ١١٧٨ راكبا . ولكن فى الحقيقة لم يكن فى القوارب الا (٧١١) راكبا فقط . لأن الـ ٤٠٠ راكب الآخرين لم يكن بالإمكان إنقاذ حياتهم لأن السفينة العظيمة لم يكن عليها طاقم مدرب على الإنقاذ . وكانت هذه أيضا احدى مهازل الاهمال فى ملكة القيط .

وبينما كانت السفينة العظيمة تنحدر ببطء إلى جوف المياه . كان مئات البشر يعومون فوق الماء . أحياء ! .

يصرخون ويفزعون . وما طال الأمر الا نصف ساعة . ثم تلاشت صيحاتهم وأجسادهم فى المياه الجليدية .

وبعد ساعتين مع الفجر . كانت سفينة الإنقاذ . « كارباثيا » . قد التقطت الأحياء من على وجه الماء . ثم حملت بها السفينة « كاليفورنيان » . وبعد أسبوع استطاعت سفن الانقاذ أن تلتقط ٣٠٦ فقط من الجثث التى كانت ملتصقة بعضها .

ولم يعثر على كابتن سيث ولا الضابط الأول موردوح ! !